

أكذوبة الفرقان الحق (3)

قبلاً كنا تحدثنا من وجهة بلاغية عن الآية الأولى من السورة المسماة بـ (سورة الضالين) من الكتاب المدعو (الفرقان الحق) ، وها نحن الآن نتناول بالدراسة الآية الثانية في السورة المزعومة من الكتاب المفترى .

والآية الثانية في هذه السورة ، يقول نصّها :

فأنا الملك الجبار المتكبر القهار القابض المذل المميت المنتقم الضار المغني
فإياي تعبدون وإياي تستعينون

ولنقصر دراستنا في هذه الآية على حرف الفاء الذي جاء في موضعين منها :
للفاء حسب ما يرى النحاة ستة أوجه ، وقد جاءت في الآية مرتين ، وهي في كلا الحالين لا تخرج عن كونها استئنافية أو تعليلية .

الفاءان استئنافيتان

إذا كانت الفاء التي صُدّرت بها الآية استئنافية: (فأنا الملك الجبار ...)

فهذا يعني ارتباطها بالفاء الواردة في ختام الآية في عبارة: (إياي تعبدون وإياي تستعينون)
فما الوجه البلاغي في الارتباط بين مقدمة الآية وخاتمتها مع وجود فاعلين افتراضنا - مبدئياً -
أنهما استئنافيتان .

جاء المبتدأ (أنا) في صدر الجملة وتلته صفات عشر للمتكلم (أنا) جاءت كلها أخباراً لهذا
المبتدأ. ولو تأملنا تلك الصفات لوجدناها صفات قوة وشدة وجبروت (الملك - القهار -
الجبار) .

باستثناء صفة (المغني) التي تعني المنح والعطاء أي : الرحمة .

ثم تختتم الآية بالجملتين: إياي تعبدون وإياي تستعينون .

إذاً هناك تقسيم في نهاية الآية بين العبودية والاستعانة .

1- أما العبودية فتفرضها صفات القوة والتحكم بحياة المستعبدين مما يضطرهم للإذعان
والطاعة والرضوخ لمشيئة المعبود وقدرته .

إذاً : هذه الجملة تتوافق مع الصفات التسع التي حملت معنى القوة في صدر الآية .

2- وأما الاستعانة (طلب المعونة) : وهي المعنى الذي تقوم عليه الجملة الثانية فإنها تتفق
مع صفة المغني ، الذي يصف نفسه بالإعانة ، أي الرحمة .

فالجملة الأولى (إياي تعبدون) جاءت متوافقة مع تسع صفات .

بينما الجملة الثانية (إياي تستعينون) جاءت متوافقة مع صفة واحدة .

وهذا ينفي التوازن بين القوة والرحمة، وبغير هذا التوازن لا تستقيم شخصية هذا الـ (أنا) إذ غلبت عليه صفات البطش والقوة وتضاءلت مساحة الرحمة والرفقة .

الفاءان تعليلتان

تعال نتأمل هاتين الفاءين فيما لو عدناهما تعليلتين ...

في هذه الحالة لا بد من ارتباط جملة (فأنا الملك ...) وهي مطلع الآية الثانية ، بالآية التي سبقتها كون ما بعد الفاء علة لما قبلها. ولنتذكر الآية السابقة: (وألبس الشيطان الباطل ثوب الحق وأضفى على الظلم جلباب العدل ، وقال لأوليائه أنا ربكم الأحد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي منكم كفواً أحد)

والآية كما هو واضح فيها ادّعاء من الشيطان بأنه رب أوليائه الأحد ، وقلنا إن الربوبية على اختلاف معانيها تتضمن معاني الرحمة والتربية والإنعام ...

فكيف إذاً يكون الحديث في الآية الأولى عن الرحمة والمنح والعطاء والرعاية ... ثم تتضمن الآية الثانية صفات القوة والجبروت والبطش (المذل - المنتقم - المميت) .

آية بلاغة تلك تجمع بين الربوبية بمعانيها وصفات الشدة بأنواعها في سياق واحد ؟!!

أوليس من البلاغة أن تأتي صفات كالمنعم والمعطي والرحيم بعد الحديث عن الربوبية ؟!

أما الفاء التي تصدّرت جملة (إياي تعبدون وإياي تستعينون) .

إن كانت تعليلية فهذا يعني : كوني الملك الجبار ... تعبدونني وتستعينون بي

وجملة (إياي تعبدون) وكذلك جملة (إياي تستعينون) :

1- إما أن تكونا جملتين خبريتين : أي أنتم تفعلون ذلك الآن وقائمون عليه (عبوديتي والاستعانة بي) كوني المتحكم بحياتكم ومصائركم وأرزاقكم ...

2- وإما أن تكونا إنشائيتين بمعنى الأمر: أي : بحكم ما امتلكه من صفات القوة فيجب أن تعبدوني وتستعينوا بي .

فإن كانتا خبريتين فقد بطل معنى ما جاء قبلهما، إذ لا أهمية لما قيل ما دام القائل معبوداً مستعاناً به والأمر كما يحب ويريد .

وإن كانتا إنشائيتين بمعنى الأمر .. فالأمر هنا فاسد كون المطلوب أمراً قلبياً

فإن ألزمت شخصاً ما بطقوس الطاعة والاحترام فأنت لا تستطيع أن تفرض عليه احترامك ومحبتك في نفسه ، أو الاستعانة بك في حوائجه .

وهنا إن كان المتكلم يستطيع فرض طقوس العبادة ، فأنى له أن يفرض على من يخاطبهم أن يستعينوا به .

فالمكره على الأمر يعمل بحدود ما يُكره على فعله دون أن يزيد عليه أو يتجاوزَه .

وهكذا فإنّ ثمة خللاً بلاغياً واضحاً في النص ، فالجمل لا تعدو كونها نظاماً تركيبياً توليفياً لا يقوم على روابط معنوية متينة أو ضوابط بلاغية صحيحة .

بقلم: ياسر محمود الأقرع

يمكن التواصل على البريد الإلكتروني:

yaserakra@maktoob.com